مجلة أبحاث
ISSN: 0834-2170
EISSN2661-734X
المجلد 8 / العـدد: 1 (2023)، ص 627– 642

الإستراتيجية الأمريكية لمكافحة الإرهاب ومنطق الهيمنة العالمية: التحديات والفرص

The American strategy against terrorism and the logic of global hegemony: challenges and opportunities

د.سمير حمياز*، جامعة بومرداس، s.hamiaz@univ-boumerdes.dz

تاريخ الاستلام: 09 /2023/09 تاريخ القبول: 22 /2023/05 تاريخ النشر: 10 /2023/06

ملخص:

تحاول هذه الدراسة، البحث في مضامين الإستراتيجية الأمريكية لمكافحة الإرهاب ومنطق الهيمنة العالمية، من خلال إبراز الأهمية الوظيفية التي يكتسبها الإرهاب الدولي في السياسة الكونية الأمريكية، باعتباره يشكل أحد المداخل الرئيسية التي توفر الغطاء الإستراتيجي للقوة العظمى الأمريكية للتحكم في الرهان الجيوسياسي العالمي، وقد توصلت هذه الدراسة إلى نتيجة مفادها أن الدوائر الإستراتيجية الأمريكية ربطت قضايا مكافحة الإرهاب بالرهانات والأهداف للكبرى للولايات المتحدة في النظام الدولي وبخاصة السيطرة على مصادر الطاقة، التحكم في التوازنات الدولية، واستكمال حلقات الانتشار العسكري الأمريكي على المستوى العالمي، الأمر الذي يؤدي إلى استدامة الهيمنة الأمريكية وتكريس الأحادية القطبية في النظام الدولي.

الكلمات المفتاحية: الإستراتيجية، الإرهاب، الهيمنة، الأمن، الولايات المتحدة الأمريكية.

تصنيف JEL : XN2، XN1.

Abstract:

This study aims to analyze the American strategy against terrorism and the logic of global hegemony, by showing the functional importance that international terrorism acquires in American global politics. The terrorism is one of the main entrances that provide the strategic cover for the American superpower to control the global geopolitical bet. This study concluded that the American strategic circles linked the issues of combating terrorism to the major stakes and goals of the United States in the international system, especially the control of energy resources, the control of international balances, and the completion of the American military deployment at the global level, which leads to the sustainability of American hegemony and the establishment of unipolarity in international system

Keywords: strategy; terrorism; hegemony; security; the United States of America.

Jel Classification Codes: XN1, XN2.

* المؤلف المرسل

1. مقدمة:

شكلت قضايا مكافحة الإرهاب الدولي، بعد انهيار الإتحاد السوفياتي كدولة والشيوعية كعقيدة، أحد الانشغالات الأمنية التي باتت تحتل موقع الصدارة ضمن أولويات أجندة السياسة العالمية المعاصرة، ليس فقط لأن الإرهاب الدولي يعد من المحددات الأساسية للعلاقات والصراعات الدولية، وبالخصوص في أعقاب الحادي عشر من سبتمبر، وإنما أيضا بالنظر إلى التطورات النوعية التي شهدها الإرهاب الدولي في ظل المتغيرات الدولية الراهنة، إذ أصبح ظاهرة عولمية عابرة للحدود والأوطان، باعتبار الظاهرة الإرهابية أصبحت متحررة من الحدود الجغرافية ولم تعد ذات صفة محلية أو إقليمية مرتبطة بدولة أو بدين أو بحضارة بعينها، بل هي ظاهرة إجرامية بلا دين ولا وطن ولا هوية تهدد الحياة الإنسانية والمصالح الحيوية للمجتمع الدولي ككل.

كما أصبح الإرهاب الدولي ظاهرة مركبة شديدة التعقيد ومتعددة الدوافع والوسائل والأهداف، كما عرفت الظاهرة أيضا تطورات ملحوظة سواء من حيث النطاق الجغرافي أو من حيث الأساليب والأشكال التي تتخذها العمليات الإرهابية، أو حتى من حيث طبيعة الفواعل ونوعية المخاطر والتهديدات التي تفرزها العمليات الإرهابية، ولاسيما بحكم استفادتها من آثار العولمة ومن التطورات التكنولوجية الحاصلة على مستوى القدرات التسلحية والتدميرية، بحيث أضحت الأعمال الإرهابية تخلف خسائر جسيمة في الممتلكات والأرواح تكاد تعادل خسائر الحروب النظامية.

ولكن بالرغم من هذه التطورات النوعية والخطيرة التي شهدتها ظاهرة الإرهاب، إلا أن واقع الممارسة الدولية يقر بأن قضايا مكافحة الإرهاب باتت تشكل أحد المداخل الرئيسية التي توفر الغطاء الإستراتيجي الذي يسمح للولايات المتحدة الأمريكية بممارسة مهام الضبط الاستراتيجي للبيئة الجيوسياسية العالمية (إدارة جيوبوليتيكا النظام الدولي)، فضلا توظيف الإرهاب الدولي كأداة تنظيمية لخدمة وتجسيد المشاريع الجيوسياسية الأمريكية ذات النزوع الهيمني (Hégémonique).

تأسيسا على ما سبق، تحاول هذه الدراسة معالجة إشكالية مفادها:

فيما تتمثل مضامين الإستراتيجية الأمريكية لمكافحة الإرهاب؟ وإلى أي مدى يمكن اعتبار أن قضايا مكافحة الإرهاب تشكل أحد المداخل التي توظفها الولايات المتحدة الأمريكية لتكريس واستدامة منطق الهيمنة العالمية بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 ؟

سعيا للإجابة عن الإشكالية تحاول هذه الدراسة اختبار الفرضيات التالية:

- طبيعة الإرهاب كتهديد لا تماثلي، هو الذي فرض على الولايات المتحدة انتهاج إستراتيجية الحرب الإستباقية.
- تكتسي الظاهرة الإرهابية أهمية وظيفية في الإستراتيجية الأمريكية، باعتبارها تسمح بتجسيد المشاريع الأمريكية لاستدامة الهيمنة العالمية.
- المبالغة في الاعتماد على منطق القوة في الإستراتيجية الأمريكية لمكافحة الإرهاب أدى إلى إفراز تداعيات خطيرة على الشرعية الدولية.

لمعالجة موضوع الدراسة، تم الاعتماد على **المنهج الوصفي**، باعتباره يساعد على توصيف طبيعة الإستراتيجية الأمريكية لمكافحة الإرهاب، بالإضافة إلى **المنهج التحليلي**، كونه يقدم تحليلات لمضامين وأبعاد هذه الإستراتيجية وما صاحبها من مشاريع جيوسياسية لتحقيق الهيمنة العالمية. كما استعانت هذه الدراسة **بالمقاربة الجيوسياسية**، بالنظر إلى أهميتها البالغة في فهم وتفسير القضايا المرتبطة بالهيمنة، الإستراتيجية والإرهاب.

للإحاطة بالجوانب المختلفة للموضوع، تم تقسيم هذه الدراسة إلى المحاور التالية:

1. في تأصيل وتفكيك المفاهيم المحورية للدراسة: الإرهاب، الإستراتيجية والهيمنة.
2. الظاهرة الإرهابية كمصدر تهديد للأمن القومي الأمريكي.

3. مضامين وطبيعة الإستراتيجية الأمريكية لمكافحة الإرهاب.
4. الحرب الأمريكية على الإرهاب وفرص الهيمنة العالمية.

2. في تأصيل وتفكيك المفاهيم المحورية للدراسة: الإرهاب، الإستراتيجية والهيمنة

1.2 مفهوم الإرهاب

يعد الإرهاب ظاهرة تاريخية متأصلة في العلاقات الاجتماعية والإنسانية، وقد ارتبط مفهوم الإرهاب كمصطلح إلى حد كبير بقيام الثورة الفرنسية سنة 1789، وما رافقها من أعمال عنف وترهيب بغية تصفية أعداء الثورة (Hoffman, 2006, p.14). كما يشكل الإرهاب أحد المفاهيم الخلافية في العلاقات الدولية، بالنظر إلى الاختلافات الإيديولوجية، وتضارب المصالح الإستراتيجية للدول، الأمر جعل من الظاهرة الإرهابية عصية على التعريف، ولكن رغم هذا المأزق الإبستيمولوجي الذي يكتنف مفهوم الإرهاب، إلا أنه قدمت العديد من التعاريف بشأن الظاهرة الإرهابية.

يشير مفهوم الإرهاب من الناحية اللغوية كما تعرفه مجموع القواميس إلى "إثارة الخوف والرعب والفزع"(البعلبكي، 1994، ص 182)، أما على الصعيد الاصطلاحي فقد قدمت العديد من التعريف بشأن الظاهرة، إذ يشير التعريف المبسط للإرهاب إلى "الاستخدام المنظم للعنف أو التهديد باستعماله من أجل بلوغ أهداف سياسية." (سعادى، 2009، ص 187)

كما ذهب فريق عمل في **وزارة الدفاع الأمريكية**، إلى تعريف الظاهرة الإرهابية على أنها "الاستخدام المخطط للعنف أو التهديد به، من طرف مجموعة خاصة خارجة على القانون، بغية تحقيق أهداف سياسية أو إيديولوجية من حيث الجوهر، وذلك من خلال التهويل والإكراه وبث الخوف."(Steven, Gunaratna, 2004, pp.4-5)

ويلاحظ من خلال هذا التعريف، أن المفهوم الأمريكي ركز فقط على الإرهاب الذي تمارسه الفواعل غير الدولاتية (الأفراد والجماعات)، ولكنه تجاهل إرهاب الدولة الرسمي الذي تمارسه القوى الكبرى، كالغزو الأمريكي للعراق، والقصف الروسي لغروزني...الخ.

ومن خلال استقراء التعاريف المختلفة التي قدمت بشأن الإرهاب نجد أن مدلولها الاصطلاحي يتمحور بالأساس حول "الاستخدام المنظم والمخطط للعنف بشتى مظاهره المادية والمعنوية سواء من طرف شخص، جماعة أو دولة بصورة تثير حالة من الرعب والفزع وتخلف خسائر جسيمة في المنشآت والأرواح وتتجاوز تأثيراتها حدود الدولة الواحدة وذلك لتحقيق أهداف سياسية، اقتصادية أو إيديولوجية بالشكل الذي يتنافى مع قواعد وأحكام القوانين الداخلية والدولية" (العريمي، 2009، ص ص 19-20).

2.2 مفهوم الإستراتيجية

يعتبر مصطلح الإستراتيجية ذو أصول عسكرية حيث ارتبط تاريخيا بظاهرة الحرب وطرائق إدارتها، وترجع الجذور الإيتيمولوجية لمصطلح الإستراتيجية إلى الكلمة اليونانية "Strato" التي تعني جيش أو حشد، ومن مشتقات هذه الكلمة "Stratego" والتي تعني فن القيادة، ومن مشتقاتها أيضا "Strategem" والتي تعني الخدعة الحربية التي تستخدم في مواجهة العدو(Bégrie, 2003, p.57).

ويشير المفهوم الضيق للإستراتيجية إلى البعد العسكري، ولذلك عرف "كارل فون كلاوزفيتز" في كتابه الشهير "في الحرب"، الإستراتيجية على أنها "نظرية استخدام الاشتباك للوصول إلى تحقيق هدف الحرب." (Bégrie, 2003, p.68) وفي السياق ذاته، ذهب الكاتب العسكري البريطاني "ليدل هارت" إلى تعريف الإستراتيجية بأنها "فن توزيع واستخدام مختلف الوسائط العسكرية لتحقيق هدف السياسة"(فهمي، 2006، ص19).

أما المفهوم الموسع للإستراتيجية فقد تجاوز البعد العسكري لطرح مفهوم أكثر شمولية، وفي هذا الإطار هناك من عرف الإستراتيجية بأنها "ذلك العلم والفن الذي يقوم على استخدام الوسائل والقدرات المتاحة في إطار عملية متكاملة، يتم إعدادها والتخطيط لها بطريقة مدروسة ومحكمة، بغية خلق هامش من حرية العمل يعين صناع القرار على تحقيق أهداف السياسة العليا في زمن الحرب والسلم." وفي السياق ذاته، ذهبت هيئة أركان القوات المسلحة الأمريكية، إلى تعريف الإستراتيجية بأنها "فن وعلم تطوير قدرة الأمة بمعناها الشامل لغرض تحقيق أهداف السياسة القومية عن طريق استخدام ما تمتلكه الدولة من عناصر القوة." (يارغر، 2011، ص46).

كما تجدر الإشارة إلى أن هناك من الباحثين من **ركز على عنصر التخطيط** في تعريف الإستراتيجية وفي هذا الإطار عرفها "مولتكا" بأنها "فن الموائمة بين الوسائل والأهداف من خلال عملية التخطيط" (Hart, 1966, p.334).

3.2 مفهوم الهيمنة

تشكل الهيمنة أحد المفاهيم المحورية في العلاقات الدولية، وفي أدبيات الفكر الإستراتيجي والجيوسياسي، يعود أصل كلمة هيمنة "Hegemonia" إلى اليونان ويعتبر المفكر اليوناني "ثيوسيديدس" أول من أشار إلى مصطلح الهيمنة في كتاباته حول الحرب البيولوبونزية التي وقعت بين "الدول المدن" اليونانية، حيث عرف الهيمنة على أنها القيادة المشروعة والسيطرة السياسية(خليل، 2020، ص82).

وقد قدمت أدبيات العلاقات الدولية الكثير من التعاريف بشأن مفهوم الهيمنة، إذ هناك من عرفها على أنها "قيادة أو سيطرة دولة واحدة على الدول الأخرى."، "كما يعني مصطلح الهيمنة "السيطرة على الدول الأقل قوة في النسق الدولي."

لقد عرف "**ميرشايمر**" الهيمنة، "بأنها بلوغ دولة ما مستوى عال من القوة، يجعلها تسيطر على كل الدول الأخرى المشكلة للنسق الدولي، حيث لا تملك أي دولة من الإمكانيات العسكرية ما يسمح لها بمجابهة حقيقية مع الدولة المهيمنة".(خليل، 2020، ص83).

ومن خلال ما سبق، يمكن القول أن مفهوم الهيمنة، مرتبط باعتبارات عدة ومن ذلك، مدى قدرة الدولة على السيطرة وبسط النفوذ، امتلاك عناصر القوة، القدرة على التحكم في التوازنات الدولية وضبط ايقاع النظام العالمي...الخ.

3. الظاهرة الإرهابية كمصدر تهديد للأمن القومي الأمريكي

1.3 التنظيمات الإرهابية كتهديد لا تماثلي للأمن القومي الأمريكي

لقد أصبحت التنظيمات الإرهابية تشكل احد التهديدات اللا تماثلية التي تواجه الأمن القومي الأمريكي بعد اندثار الخطر الشيوعي، وهو الأمر الذي عبر عنه "توماس فينغر" نائب كاتب الدولة للبحث والاستعلامات بأن "التراجع المثير للتهديد الأكبر والذي تجسده نهاية الحرب الباردة، والتزايد الكبير لقدراتنا العسكري تجعل من كل تهديد من خصم ما ضد كياننا الوطني أمرا بالغ الصعوبة، وهو ما يغري ويشجع على اللجوء إلى التهديدات اللاتماثلية من طرف التنظيمات الإرهابية التي تبحث عن الفرص والوسائل اللازمة لتهديد الأمريكيين داخل ترابهم وفي الخارج" (سعدي، 2006، ص209).

وفي السياق ذاته، أكد التقرير الذي قدمه وزير الدفاع الأمريكي الأسبق "وليام كوهين" وراجعه "دونالد رامسفيلد"، وأقره "جورج بوش" (الابن) على هيئة توجيه رئاسي ملزم على تحديد التهديدات والمخاطر المحتملة التي قد تواجه المصالح الحيوية والأمن القومي الأمريكي في مصادر محددة وأهمها: (العساف، 2008، ص260).

- "إرهاب كاسح" "Hyper Terrorism" وصل إلى مرحلة العولمة، في الوقت الذي وصلت فيه المجتمعات والدول بدورها إلى المرحلة ذاتها.

- ظهور نوع جديد من الحروب، وهي "الحروب اللاتماثلية" التي تخوضها التنظيمات الإرهابية.
- "دول مارقة" "Rogue State" وعت دروس حرب الخليج وأصبح جهدها موجها إلى العثور على نقاط ضعف أمريكية تستطيع أن تنفذ منها لتستهدف أمن ومصالح الولايات المتحدة الأمريكية.

ولذلك، تعتقد الدوائر الإستراتيجية الأمريكية، أن الإرهاب أصبح يشكل أحد الأساليب الأكثر فعالية بالنسبة إلى العديد من الحركات لردع الولايات المتحدة الأمريكية، وتهديد مصالحها عبر العالم، خصوصا وأن الإرهاب عرف تطورا مهما على المستوى التكنولوجي والوجيستي والتدميري، لاسيما مع إمكانية امتلاك التنظيمات الإرهابية لأسلحة الدمار الشامل، والتحرر الكبير من البعد الترابي، بحيث تحولت هذه الحركات إلى مقاولات منظمة متعددة الجنسيات وعابرة لكل المجالات الجغرافية (سعدي، 2006، ص209).

ولقد أصبحت إمكانية حيازة التنظيمات الإرهابية لأسلحة الدمار الشامل، تمثل أحد الهواجس الطاغية على الأمن القومي الأمريكي وبخاصة في أعقاب 11 سبتمبر 2001، وعلى هذا، يرى باحثين من مؤسسة "RAND" وهما "بروس هوفمان" و"جون أركيلا" إلى أن حصول الجماعات غير الدولاتية على أسلح الدمار الشامل، من شأنه تقويض الأمن القومي الأمريكي، كما ذهب العديد من خبراء الإرهاب الدولي بعد أحداث 11 سبتمبر إلى وضع سيناريوهات محتملة لهجمات نووية، كميائية أو بيولوجية توجهها التنظيمات الإرهابية ضد على العواصم الغربية (Barthélemy, Ribnikar, 2009, p.53).

ومن جهة أخرى، فإن الكثير من التقارير الإستراتيجية التي تقدم إلى البنتاغون تشير إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية قد هيمنت على العالم ولم يعد هناك من يستطيع أن يجابهها عسكرية، ولكن الخصم الوحيد الذي يمكن أن يؤذيها هي التنظيمات الإرهابية التي تستخدم أساليب الحروب اللاتماثلية، حيث اعتبر التقرير أن التهديد غير المتماثل يشكل خطرا هائلا على أمريكا إلى درجة أنه يمكن أن يتسبب في إرباك وزعزعت الأوضاع الداخلية إذا لم تحسن التعامل معه (العساف، 2008، ص260).

وعلى هذا، ذهب "دوغلاس لفليس" وهو أحد العقول المتميزة في البنتاغون، وله مسؤولية الإشراف على الأبحاث في التخطيطات الإستراتيجية، إلى القول: "إن القوة العسكرة الأمريكية لن تواجه في الغالب وفي المستقبل المنظور صراعات عسكرية يحكمها التوازن لصالحنا أو ضدنا، وإنما سوف تواجه مخاطر يوجهها ويقوم بها خصوم لا يملكون فرصة للتوازن ضد القوة الأمريكية، ويكون اعتماد تحديهم استعمال أنماط من الحروب لا تتوقعها الولايات المتحدة ولم تستعد لها. وهنا تظهر الضرورة الحيوية للاستعداد لحرب من نوع جديد تقوم على "**عدم التماثل**" بدلا من "**عدم التوازن**" الذي اتبعناه حتى الآن وحشدنا أقصى الإمكانات والكفاءات لمواجهته"(هيكل، 2003، ص118).

2.3 التنظيمات الإرهابية كتهديد لقيم ومصالح الولايات المتحدة الأمريكية

من الثابت أن الظاهرة الإرهابية، باتت تمثل تهديدا إستراتيجيا لقيم ومصالح الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا لا يتجلى فقط في التركيبة الإيديولوجية والمنطلقات العقائدية للتنظيمات الإرهابية المناهضة للقيم الأمريكية والغربية ولسياساتها الإمبريالية في المنطقة، ولكن أيضا باعتبار هذه التنظيمات تشكل خطرا إستراتيجيا ومصدر تهديد رئيسي للمصالح الحيوية والطاقوية الأمريكية خاصة في العالم العربي والإسلامي.

ولذلك، فالتنظيمات الإرهابية، لا تسعى فقط إلى استهداف التواجد الأمريكي والمصالح المادية للولايات المتحدة في العالم العربي والإسلامي، وإنما أيضا هي تناهض تقريبا جل المفاهيم المرتبطة بالقيم الغربية على غرار مفاهيم: الديمقراطية، العلمانية، الليبرالية..، الأمر الذي يحد من فعالية "القوة الناعمة" الأمريكية "Soft Power" ودرجة تغلغلها ونفوذها في المنطقة. وعليه، فعلى الصعيد الإيديولوجي، يمكن القول، أنه ثمة تنافر وشروخات عميقة على مستوى المرجعيات الفكرية التي يحملها الطرفين.

ومن جهة أخرى، تعتبر الظاهرة الإرهابية في المنطقة كمصدر تهديد حقيقي للتواجد الأمريكي وللمصالح الحيوية الأمريكية في المنطقة، الأمر الذي يتجلى بالأساس من خلال خطابات "الحركات الجهادية" الناشطة في المنطقة، لاسيما تنظيم القاعدة وحركة طالبان..، وكلها تتفق وتقر بضرورة طرد التواجد الأجنبي "الصليبي" في المنطقة وفي "ديار الإسلام" بصفة عامة. بيد أن إخراج الولايات المتحدة في هذه المنطقة التي **"تطفو على بحر من النفط"**، سيؤدي إلى إفراز مضاعفات خطيرة على مكانة أمريكا في النظام الاقتصادي العالمي، وذلك بتراجع قدرتها على الإمساك في منابع النفط، ومن ثم توظيفها كورقة ضغط ومساومة للتحكم في التوازنات الجيواقتصادية العالمية.

كما تجدر الإشارة أنه بعد إعلان تنظيم القاعدة "للجبهة الإسلامية العالمية ضد اليهود والصليبين" أطلقت التنظيمات الجهادية حربا مفتوحة ومستمرة ضد المصالح الأمريكية، ليس فقط في مختلف مناطق العالم، لاسيما في منطقة الشرق الأوسط، وفي هذا الصدد فإنه حري بالإشارة إلى العمليات النوعية التي نفذت ضد المصالح الأمريكية في المنطقة، كتفجير دور السفارات وتدمير البارجة "المدمرة" الأمريكية "كول" "USS Cole" في خليج "عدن باليمن" في نوفمبر2000 عند طريق زورق مطاطي، وهو ما يؤكد على فعالية ما أسماه "ريتشارد هاس" مدير مكتب التخطيط السياسي بوزارة الخارجية الأمريكية "بفنون حرب ما بعد الحداثة غير المتماثلة"(Rambeaud, 2011, pp.90-91).

4. مضامين وطبيعة الإستراتيجية الأمريكية لمكافحة الإرهاب

1.4 مضامين الإستراتيجية الأمريكية لمكافحة الإرهاب

عرفت العقيدة الأمنية الأمريكية تحولات كبيرة في المرحلة التي أعقبت نهاية الحرب الباردة ذلك أن مفاهيم الردع، الاحتواء، وغيرها من أساسيات الإستراتيجية الأمنية التي سادت طيلة الحرب الباردة لم تعد قادرة على مواجهة التهديدات الجديدة للأمن الدولي، وتعد ظاهرة الإرهاب أحد هذه التهديدات التي تستهدف الأمن القومي الأمريكي والمصالح الحيوية للولايات المتحدة، ولذلك شكلت إستراتيجية الحرب الإستباقية الركيزة الأساسية التي اعتمدت عليها الولايات المتحدة الأمريكية لمواجهة التنظيمات الإرهابية (سويلم، 2002، ص292).

والحقيقة أن الحرب الإستباقية ليست بالجديدة في الممارسة الإستراتيجية الأمريكية، ذلك أن الولايات المتحدة الأمريكية لديها سوابق تاريخية في ممارسة هذا النمط من الحروب التي أصبحت أكثر وضوحا بعد أحداث 11 سبتمبر 2001. ويعرف الرئيس "جورج بوش الابن" الحرب الإستباقية **بقوله "إنها تعني نقل المعركة إلى العدو، وزعزعة خططه ومواجهة أسوأ التهديدات قبل بروزها"**(العساف، 2008، ص223).

وإذا كانت الإرهاصات الأولى لعقيدة الاستباق ترجع إلى الوثيقة الصادرة في مطلع التسعينات تحت عنوان **"دليل تخطيط الدفاع"**، والتي أشارت إلى إمكانية قيام الولايات المتحدة الأمريكية بعمليات وقائية ضد أخطار محتملة، فإن معالم هذا النمط من التفكير الأمني لم تظهر بشكل واضح إلا من خلال الوثيقة الصادرة في 20 سبتمبر 2002 تحت عنوان "إستراتيجية الأمن القومي للولايات المتحدة الأمريكية" والتي تم التأكيد فيها على مكانة الحرب الإستباقية في الإستراتيجية الأمريكية، ولذلك أشارت عدد من خطب الرئيس "بوش (الابن)" للحرب الإستباقية وبشكل أخص في أكاديمية "وست بوينت" في ربيع 2002 حيث حذر الرئيس قائلا: "...إن الحرب على الإرهاب لن تكسب من مواقع الدفاع، يتعين علينا أن ننقل المعركة إلى العدو، ونحبط خططه، وأن نواجه أخطر التهديدات قبل بروزها..."(بيضون، 2004، ص237).

وتتصدر الوثيقة الرسمية لإستراتيجية الأمن القومي رسالة من الرئيس "بوش" وضعت نقاطها بكلمات قليلة ودقيقة حيث أشار فيها إلى الحرب الإستباقية بقوله: "إن الظروف تغيرت بشكل جوهري، كان الأعداء في الماضي يحتاجون إلى جيوش جرارة وإمكانيات

صناعية هائلة كي يعرضوا أمريكا للخطر. والآن تستطيع شبكات مبهمة من الأفراد أن تجلب إلى شواطئنا فوضى ومعاناة عظيمتين وبتكاليف زهيدة، الإرهابيون مصممون لاختراق مجتمعات مفتوحة وتحويل التكنولوجيات الحديثة ضدنا...وهذا الأمر يتطلب تغييرا جوهريا في الإستراتيجية، سيكون على أمريكا الآن العمل ضد مثل هذه التهديدات الناشئة قبل أن يكتمل تكوينها"(باربر، 2005، ص80).

وتقوم الخطوط الكبرى لهذه الإستراتيجية التي انتهجتها الولايات المتحدة بعد أحداث 11 سبتمبر على ثلاثة مبادئ أساسية هي التي تحدد الدور المستقبلي الذي تضطلع به أمريكا في السياسة الدولية وهي:

- الانتقال من الردع إلى الاستباق لمواجهة مخاطر الإرهاب وانتشار أسلحة الدمار الشامل.
- الانتقال من الاحتواء إلى تغيير الأنظمة، باعتبار الاستبداد يوفر الأرضية الخصبة لنمو التطرف والإرهاب الذي يشكل خطرا استراتيجيا على المصالح الحيوية الأمريكية.
- الانتقال من الغموض إلى القيادة، بمعنى وعي أمريكا بدورها الريادي في النظام العالمي وتبوء مسؤولياتها في ضمان الاستقرار والسلام العالمي(باربر، 2005، ص80).

2.4 طبيعة الإستراتيجية الأمريكية لمكافحة الإرهاب

اتسمت الإستراتيجية الأمريكية في مجال مكافحة الإرهاب **بالطابع الأحادي**، بالنظر إلى التدخلات العسكرية الانفرادية التي مارستها الولايات المتحدة الأمريكية بذريعة مكافحة الإرهاب في أفغانستان 2001، والعراق 2003، منتهكة بذلك القانون الدولي وقواعد الشرعية الدولية.

ومن الواضح أن هذا التحدي الأمريكي للشرعية الدولية عبر الإقدام على غزو العراق وأفغانستان وانتهاك السيادة الوطنية للدول تحت غطاء الحرب على الإرهاب، يعبر عن نزعة أحادية ذات طموحات إمبريالية. وعلى هذا يعتقد "روبرت كاغان" بأن "الولايات المتحدة تمارس السلطة في عالم تحكمه القوة وحيث الجميع يتصارع مع الجميع ولا يمكننا الثقة في القواعد الدولية ولا في القانون الدولي العام"، كما اعتبرت "كوندوليزا رايس" **أن** مفهوم "المجتمع الدولي" و"تعددية الأطراف" (Multilatéralisme) هي مجرد أوهام ولا توجد أية مصالح مشتركة في العالم (سعدي، 2006، ص333).

ومن هذا المنطلق، أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية تتصرف بمنطق الإمبراطورية "المتغطرسة" التي لا تعير أي اهتمام لمصالح وإرادات باقي أعضاء المجتمع الدولي الذين اعتبرتهم إدارة المحافظين الجدد بأنهم **"أتباع وخدم وعليهم أن يدفعوا الجزية"** (تود، 2003، ص12) ، الأمر الذي أدى إلى تراجع القانون الدولي وتقويض الشرعية الدولية خاصة مع تصاعد زخم السياسات الأمريكية ذات المنحى الأمني والعسكري، وبالتالي خرق كل القيود والقواعد المعيارية التي بلورها القانون الدولي كمبدأ عدم التدخل واحترام سيادة الدول، وغيرها من "القواعد الآمرة" (Jus Cognes) التي تساهم في تحقيق النظام ودحر الفوضى في النسق الدولي ونقل العلاقات الدولية من "حالة الطبيعة" إلى "حالة المجتمع" (حسب التعبير الأثير عند هوبز) (ولد أباه، 2004، ص132)

وقد اتضحت المعالم الأساسية للمقاربة الانفرادية الأمريكية من خلال كيفية التعاطي الاستراتيجي والأمني مع ظاهرة الإرهاب، والتي تمحورت بالأساس حول ثلاثية: الأحادية، الإستباقية ورهان السيطرة العالمية(بوث، ديون، 2005، ص158). كما يلاحظ أن الأحادية الأمريكية في مجال مكافحة الإرهاب ارتكزت على نموذج السياسة الواقعية (Real politik) من خلال تغليب منطق القوة بدلا من الدبلوماسية وقوة القانون(بوث، ديون، 2005، ص299). ولذلك يعتبر كل من "نعوم

تشومسكي" و "كلايد بريستوفيتز" "أن الدفع الأحادي للسياسة الخارجية الأمريكية بذريعة مكافحة الإرهاب ساهم في جعل الولايات المتحدة كدولة مارقة متمردة وخارجة على القانون الدولي"(برستوفتز، 2003، ص10).

وعليه، فاللجوء الأمريكي إلى الاستخدام الأحادي للقوة تحت مضلة الحرب على الإرهاب أدى إلى الانفراد بالقرار الدولي وتجاوز حتى الحلفاء الأوروبيين، وعلى هذا، فالدول الطامحة إلى بناء نظام دولي متعدد الأقطاب يضمن لها هامش من المناورة على المسرح الدولي وضعت أمام الأمر الواقع، بل وأكثر من ذلك تم جرها عنوة للاصطفاف وراء الولايات المتحدة الأمريكية في إطار المناورة الإستراتيجية الكبرى التي أطلق عليها "الحرب الكونية على الإرهاب"(غليون، 2005، ص58).

5. الحرب الأمريكية على الإرهاب وفرص الهيمنة العالمية

1.5 خلفية تاريخية عن الهيمنة في السياسة الكونية الأمريكية

يعد مطلب الهيمنة العالمية من الثوابت الإستراتيجية التي تحظى بإجماع الإدارات الأمريكية المتعاقبة، بيد أن المسائل الخلافية تكمن في تكتيكات وطرائق تحقيق هذا الحلم المغروس في الروح الأمريكية. في الحقيقة أن النزعة الأمريكية لتحقيق مطلب الصدارة العالمية لم تكن وليدة أحداث الحادي عشر من سبتمبر، بل إن خلفياتها التاريخية والفكرية ترجع إلى الآباء المؤسسون للولايات المتحدة الأمريكية، وذلك بالاستناد إلى "مذهب الاستثنائية الأمريكية" (باربر، 2005، ص ص137-138) (Americain Exeptionalism) وإلى "السمو الأخلاقي الأمريكي" (Moral Superiority) القاضي بالتوسع في كل مناطق العالم من أجل نشر قيم الحرية، الديمقراطية والسلام "التي وهبها الرب لأمريكا". وعليه، فالقدر المحتوم لأمريكا هو قيادة العالم(lacoste, 2009, p.75).

ومن هذا المنطلق، فقد شكل مطلب "الزعامة العالمية" منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى عمليات انهيار البرجين، أحد المحاور الأساسية التي تتحرك على ضوئها الإدارات الأمريكية المتعاقبة، فمقولة الرئيس "جورج بوش": "إن القرن القادم ينبغي أن يكون أمريكيا" لا تختلف عن مقولة الرئيس الراحل "فرانكلين روزفلت": "إن قدرنا هو أمركة العالم".

لقد دخل العالم بعد انهيار الإتحاد السوفياتي كدولة والشيوعية كعقيدة في عهد السلام الأمريكي (Pax Americana) الذي تركن فيه الشعوب والأمم إلى هيمنة أمريكية محمودة، ولقد تم تدشين "النظام العالمي الجديد" (NOM) في إطار "عملية عاصفة الصحراء" التي أدت إلى تدعيم مركز الولايات المتحدة باعتبارها، القوة العظمى الوحيدة بالمعنى الإستراتيجي في عالم ما بعد الحرب الباردة. والحقيقة أن المفعول الإنتصاري لنهاية الحرب الباردة، والتي جعلت من الفكر الإستراتيجي الغربي يتأكد من حقيقة أن أمريكا أصبحت تنفرد بقيادة العالم إستراتيجيا وبصورة توضح أنها القوة الفاعلة والحيوية في إدارة الأزمات والتحديات الدولية، باعتبارها كما يرى "هوبرت فيدرين" "القوة الكاسحة" (Hyper Puissance) التي تمتلك أكثر مصادر القوة والنفوذ العالمي ولا توجد قوى قادرة على منافسة هيمنتها الشاملة ذات الأبعاد الأربعة التي حددها "بريجينسكي" في:

- الهيمنة العسكرية العالمية،
- الدور الاقتصادي العالمي،
- الجاذبية الثقافية العالمية،
- القوة السياسية العالمية (سعدي، 2006، ص193).

ومع نهاية حرب الخليج الأولى قامت مجموعة من موظفي وزارة الدفاع الأمريكية بإصدار "توجيهات خطط الدفاع" (Defense Planning Guidance) التي أكدت "أن هدف الولايات المتحدة هو أن تبقى القوة المهيمنة بدون منافس في النظام الدولي حتى وإن اقتضى الأمر الاعتماد على سياسة أحادية هجومية تقوم على الاستخدام الانفرادي للقوة "عقيدة الاستباق".

وفي سنة 1997 تم إطلاق "مشروع القرن الأمريكي الجديد" (PNAC) الذي وصفه أحد المفكرين الأوروبيين بأنه "كفاحي جديد" بحكم نزعته المتغطرسة والأحادية. إن هذا المشروع يؤكد ما كتبه "هنري لوس" سنة 1941 في مجلة (Life) بعنوان "القرن الأمريكي" وجاء فيها: "علينا أن نقبل بشكل كامل واجبنا وفرصتنا كأقوى دولة في العالم وبناء عليه أن نفرض على العالم نفوذنا لأي غرض نختاره وبأي طريقة نراها مناسبة"(زلوم، 2009، ص ص 181-182). وينطوي مشروع القرن الأمريكي الذي يترأسه "ويليام كريستول" على أطروحات فكرية تروج للهيمنة الأمريكية وأنه على الولايات المتحدة أن تكون لديها الرؤيا والإرادة لقيادة العالم وتشكيل القرن الجديد بالشكل الذي يتوافق مع المبادئ والمصالح الأمريكية.

انطلاقا من هذا المشروع ستتمحور السياسة الخارجية الأمريكية حول المرتكزات التالية:

- الاضطلاع بدور قيادي على الساحة الدولية باستغلال امتيازات القوة العظمى الوحيدة.
- التركيز على السياسات العسكرية والأمنية لتحقيق الأهداف والرهانات الأمريكية.
- التبشير بالديمقراطية وحقوق الإنسان.
- التركيز المفرط على مصالح التحالف الإسرائيلي- الأمريكي وتغيير الخارطة الجيوسياسية الشرق الأوسطية على الوجه الذي يخدم المصالح الإستراتيجية الإسرائيلية (العساف، 2008، ص270).

2.5 الحرب على الإرهاب كغطاء إستراتيجي لتجسيد النزوع الإمبراطوري الأمريكي للهيمنة العالمية

تشكل قضايا مكافحة الإرهاب أحد المداخل الرئيسية التي توفر الغطاء الإستراتيجي لكسب الرهانات الجيوسياسية الكفيلة باستدامة الهيمنة الأمريكية على النظام العالمي(الزعبي، 2001، ص87) ، والملاحظ أن الولايات المتحدة الأمريكية استغلت التعاطف والإجماع الدوليين على إدانة الهجمات الإرهابية على إثر أحداث 11 سبتمبر لتنفيذ المخطط الإمبراطوري، وضرب الشرعية الدولية وتعددية الأطراف، ولذلك يقول "شامبرز جونسون" في كتابه "**أحزان إمبراطورية: العسكرية والسرية ونهاية الجمهورية**" الصادر سنة 2004: "بأن الولايات المتحدة تميل منذ سنوات طويلة تدريجيا ولكن بثبات باتجاه المشروع الإمبراطوري الذي تسعى لتنفيذه تحت مسميات مختلفة ومن ضمنها الحرب على الإرهاب" (زلوم، 2009، ص 206).

ويمكن إبراز وتبيان التوظيف الإستراتيجي لقضايا مكافحة الإرهاب لتجسيد المشاريع الجيوسياسية الأمريكية لاستدامة الهيمنة العالمية من خلال التفصيل في العناصر التالية:

1.2.5 الحرب الأمريكية على الإرهاب وفرص التحكم في الرهان الجيوسياسي العالمي

تعتبر الحرب الكونية على الإرهاب من منظور السياسة البنتاغونية كلعبة إستراتيجية يتم من خلالها إعادة رسم المواقع لتعزيز السيطرة على المجالات الجيوسياسية الحساسة في لعبة التوازنات الدولية. في الحقيقة أن واقع السياسة الدولية أثبت أن قضايا مكافحة الإرهاب بعد أحداث 11 سبتمبر2001، باتت تشكل ورقة ناجحة تحركها قوى الهيمنة الدولية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية في الزمان والمكان المناسبين لتبرير سياسات التدخل الدولي ليس فقط لاعتبارات أمنية لدحر الجماعات الإرهابية والدول الراعية لها والتي توفر ملاذات آمنة للإرهاب الدولي، ولكن أيضا لإدارة جيوبوليتيكا النظام الدولي والتحكم في الرهان الاستراتيجي العالمي.

بالإضافة إلى توظيف الإرهاب الدولي **كورقة تنظيمية** تحاول الولايات المتحدة الأمريكية من خلالها تفكيك الأنظمة المناهضة لسياستها الامبريالية في المنطقة وإعادة تركيبها بما يتوافق ومصالحها الحيوية من خلال **مشاريع الفوضى الخلاقة، الشرق الأوسط الكبير** (غازي، 2005، ص9)، التي تستهدف إعادة هيكلة وترتيب الخارطة الجيوسياسية لمنطقة الشرق الأوسط، الأمر الذي ينذر بإعادة تقسيم المنطقة وفق منطق سايكس بيكو جديد ولكن على أسس عرقية ومذهبية بالاستناد على آلية التفكيك وإعادة البناء (كعسيس،

2014، ص220). وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلى الدراسة التي نشرتها مجلة (Executive Intelligent Rescherche Project) التي أصدرتها وزارة الدفاع الأمريكية في جويلية 2003 بحيث تطرقت إلى مشروع اقترحه "برنارد لويس" لتقسيم الشرق الأوسط إلى أكثر من ثلاثين دويلة إثنية ومذهبية لحماية المصالح الحيوية الأمريكية–الإسرائيلية. ضف إلى ذلك التقرير المنشور في مجلة القوات العسكرية الأمريكية في تموز 2006 تحت عنوان "حدود الدم" والذي حدد ملامح شرق أوسط جديد يقوم على فكرة القضاء على الدولة الوطنية لتحل محلها دويلات طائفية وإثنية على درجة كبيرة من التناحر وعدم القدرة على التعايش. وعلى هذا الأساس تمثل الأقليات مدخلا أساسيا لاختراق دول المنطقة وانتهاك سيادتها ووحدتها الترابية (غليون، 2005، ص41).

والملاحظ، أن هذه الإستراتجية التي يستمر تنفيذها تحت مسمى "الربيع العربي" تستهدف بالدرجة الأولى تفتيت دول **محور المقاومة** مع الاستمرار في دعم الدول الحليفة للولايات المتحدة لاسيما في منطقة الخليج العربي(الزين، 2013، ص20)، ولذلك، يرى الخبير الإستراتيجي الأمريكي "لكولكن مان" أن الإستراتيجية المثلى الواجب تطبيقها في المنطقة تعتمد على مبدأين أساسيين، شد الأطراف من خلال دعم "الدول الحليفة"، وتمزيق القلب وتطويقه عبر إضعاف وتفكيك "دول محور المقاومة"، وإن لم تتمكن الولايات المتحدة من تمزيق دول القلب عسكريا فإنها ستعمل على محاصرتها واحتواء خطرها(السلطان، 2002، ص111).

لقد ربطت الولايات المتحدة الأمريكية شعار الحرب على الإرهاب بإدارة جيوبوليتيكا النظام الدولي وعمليات الضبط الإستراتيجي للبيئة الجيوسياسية العالمية، ولذلك فالتحكم في الرهان الإستراتيجي العالمي كان بمثابة البوصلة التي تتحرك على ضوئه الإستراتيجية الأمريكية لمكافحة الإرهاب، ولعل هذا ما يمكن إبرازه في النقاط التالية:

- القضاء على فكرة "بريماكوف": لقد طرح وزير الخارجية الروسي الأسبق "بريماكوف" مشروع جيوسياسي يهدف إلى القضاء على الانفراد الأمريكي في النظام الدولي بصفة عامة، وفي المنطقة الأسيوية على وجه الخصوص، ويتمحور هذا المشروع الجيوسياسي حول ضرورة إقامة تحالف بين: روسيا، الهند والصين وهو ما يمكن أن يشكل **مثلث إستراتيجي نووي** كفيل بتهديد المصالح الجيوسياسية الأمريكية، ولذلك قامت الولايات المتحدة الأمريكية بالتصدي لفكرة بريماكوف عبر احتلال أفغانستان لتحقيق التموقع الإستراتيجي في قلب هذا المثلث النووي "المحتمل" ومن ثم إحباط هذا المخطط الجيوسياسي، من خلال تفكيك أضلاع هذا المثلث الإستراتيجي (النووي).
- إن التواجد العسكري الأمريكي في أفغانستان والعراق يسمح للولايات المتحدة بتطويق الصين، التي باتت تقلق الولايات المتحدة الأمريكية وذلك بحكم القابليات والإمكانيات التي تتمتع بها لمنافسة الولايات المتحدة في الاقتصاد العالمي. ضف إلى ذلك مراقبة بعض القوى الإقليمية المناهضة للسياسة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط مثل سوريا وإيران.
- القضاء على الجماعات الإرهابية التي أصبح تشكل خطرا إستراتيجيا على ما أسمته "هلين دانكوست" "بالمجال النفطي الإسلامي"(L'espace Islamo-Pétrolier) في الشرق الأوسط، وآسيا الوسطى، الأمر الذي يؤدي إلى فقدان الولايات المتحدة الأمريكية السيطرة على مصادر ونظام الطاقة ومن ثم فقدان مشروعية الهيمنة على النظام العالمي.
- التموقع العسكري والإستراتيجي في أفغانستان يوفر فرصة للاقتراب المباشر من حدود روسيا الجديدة والعمل على زعزعت استقرارها الأمني، وتعطيل فرصة انطلاقتها المستقبلية، علاوة على أنها فرصة لقطع الجسور الخلفية على الصين وارتباطاتها الوثيقة مع بلدان المنطقة وبالخصوص مع باكستان. وبالنتيجة ستكون اليد الأمريكية قادرة على ضبط التفاعلات الإقليمية والإمساك بعمليات التوازن الإقليمي النووي للمنطقة وتحديدا الهندي–الباكستاني.
- الموقع الجيوإستراتيجي الذي يحتله العراق وقدرته العالية على تحديد الإستراتيجية الكونية الأمريكية، باعتباره يتوسط منطقة الشرق الأوسط (القلب) علاوة على إحاطته بدول الجوار الجغرافي ذات القدرات والإمكانات للتأثير في معادلة التوازن الإقليمي

في المنطقة وعلى رأسها تركيا وإيران (العساف، 2008، ص205). الأمر الذي دفع ديفيد ويرمسر (المحلل الإستراتيجي في معهد الدراسات الإستراتيجية والسياسية المتقدمة) إلى وصف أهمية موقع العراق بالمنطقة بقوله "إن من يسيطر على العراق يتحكم إستراتيجيا بالهلال الخصيب ومن ثم بالجزيرة العربية"(البرهان، 2003، ص64) ، ولا تنبع أهمية العراق من هذه الناحية فحسب، وإنما لكونه مركزا عملياتيا متقدما في الإستراتيجية الأمريكية المعدة للمنطقة لترسيخ هيمنة القطب الواحد، فالعراق يمثل مسرحا إستراتيجيا لعملية تحول أمريكا من إدارة النظام العالمي إلى قيادته والسيطرة عليه.

- يعد موقع العراق كهمزة وصل للانقطاع الحاصل في انتشار قوات الحلف الأطلسي في الجزء الممتد بين تركيا وشمالا والخليج العربي جنوبا، وهو انقطاع على مساحة ثلاث دول في محور الشر هي إيران، العراق وسوريا. وعليه فالتواجد العسكري المباشر في العراق سيعطي للولايات المتحدة وحلفائها ميزة تكامل انتشار قواتها على مساحة الشرق الأوسط من دون انقطاع.
- عزل جناحي محور الشر أو الدول المارقة التي تمثلها كل من سوريا وإيران عن بعضهما، وحرمانهما من منطقة وسطى للعمل المشترك في حالة مواجهة التهديد التي يمثلها العراق قبل الاحتلال.
- توسط العراق لمنطقة الشرق الأوسط (القلب) يمنح المتحدة الأمريكية وحلفائها حرية حركة دائرية وفي كل الاتجاهات ويعفيها الموقع الجديد من مغبة مطالبة الحلفاء والأصدقاء بتقديم تسهيلات لوجيستية ودعم سوقي لقواتها في عملياتها العسكرية المحتملة مستقبلا(العساف، 2008، ص ص212-213). ولذلك يرى "مايكل كلير" (أستاذ النزاعات الدولية) في مقال له نشر في مجلة (Nation) الأمريكية إلى أن الحرب على العراق أوضحت نقطت الارتكاز المركزية للتنافس الدولي وهي منطقة جنوب ووسط آسيا، أي من أفغانستان والجمهوريات الأسيوية الإسلامية حتى العراق الذي اعتبره "وليام هملتون" أستاذ التاريخ الأمريكي قلب الشرق الأوسط (The Heart Land of The Middle East).
- إن التواجد العسكري الأمريكي في العراق يمنح للولايات المتحدة ميزة إستراتيجية تكمن في التموقع في قلب المربع الإستراتيجي الذي يضم: الخليج وشمال غرب آسيا وآسيا الوسطى والشرق الأوسط(شاهر، 2009، ص ص124-125).

على ضوء ما سبق، يتضح أن شعار الحرب على الإرهاب ارتبط بشكل بالرهانات والمشاريع الجيوسياسية الامريكية ذات النزوع الإمبراطوري.

2.2.5 الحرب الأمريكية على الإرهاب ورهان السيطرة على مصادر الطاقة

يعتبر شعار "الحرب على الإرهاب" إحدى الأوراق الهامة التي توظفها القوة العظمى الأمريكية للسيطرة على الرهان الطاقوي العالمي، فالنفط "الذهب الأسود" يعتبر محورا أساسيا وقضية مركزية في السياسة الخارجية الأمريكية، وذلك ليس فقط بحكم أهمية هذا المورد الإستراتيجي للأمن الاقتصادي الأمريكي ولحضارة التصنيع العالمية، ولكن أيضا من أجل توظيفه كورقة ضغط ضد القوى الدولية الأخرى في إطار الحروب الجيواقتصادية، وبخاصة مع بروز مقولة من يسيطر على مصادر الطاقة يتحكم في الاقتصاد العالمي ومن ثم يسيطر على العالم (الحاج، 2007، ص173).

إن الأهمية الجيواقتصادية والطاقوية للشرق الأوسط الذي يمثل، ثلثي الاحتياطي العالمي من النفط جعلته يشكل أحد الساحات الأساسية للحرب الأمريكية على الإرهاب، ولذلك يعتقد "مايكل كلير" "أنه ثمة تداخل واضح بين ثلاثة متغيرات أساسية في منطقة الشرق الأوسط وهي: النفط، الإرهاب وسياسات التدخل الدولي. وعليه، فالحرب الأمريكية على الإرهاب تحمل في طياتها صفقات نفطية ومشاريع لبناء قواعد عسكرية لتأمين آخر قطرة من النفط في منطقتي الشرق الأوسط وآسيا الوسطى (بيضون، 2004، ص240).

لقد تمكن البنتاغون بحلول منتصف 2004 من بناء ما لا يقل عن 14 قاعدة عسكرية في العراق ليس لهدف ضمان الديمقراطية وحقوق الإنسان، ولكن من أجل السيطرة على تدفق النفط، ولقد شكل العراق وأفغانستان جزءا من إستراتيجية جريئة تم

التخطيط لها وعمل على دعمها المحافظون الجدد وكبريات الشركات النفطية مثل "هاليبرتون" "وإيكسون موبيل" ورجال المال والمصارف في الوولستريت، وتقوم على ضرورة الهيمنة على مصادر النفط العالمية من خلال تفعيل ورقة مكافحة الإرهاب. كما تجدر الإشارة أن المساعي الأمريكية للسيطرة على منابع النفط ليس هدفا في حدّ ذاته، ذلك أن الولايات المتحدة تحتوي على احتياطي هائل من النفط، ولكن من أجل توظيفه كورقة ضغط على القوى الفاعلة في الاقتصاد العالمي، فالنفط هو جزء لا يتجزأ من الحروب الجيواقتصادية الدولية (Lacoste, 2009, p.320). ولذلك يقول "روبرت دريفوس": "إن المفتاح الرئيسي للأمن القومي الأمريكي في الشرق الأوسط، يكمن في السيطرة على جميع المنافسين المحتملين، وفي سبيل تحقيق ذلك فإنه لا يكفي أن تكون الولايات المتحدة قادرة على نشر قواتها العسكرية في الزمان والمكان المناسبين فحسب، بل إن عليها السيطرة على المصادر الرئيسية من نفط الشرق الأوسط التي يعتبرها "ديك تشيني" تشكل منطقة الجائزة الكبرى بما تحتويه من ثلثي حجم الاحتياط العالمي من النفط " (زلوم، 2009، ص183).

في كتابه "الدولة الدينية" ذهب الكاتب الأمريكي "كيفين فيليبس" إلى القول بأن: "السياسة الأمريكية تقوم على ثلاثة أعمدة أساسية وهي: النفط وانعكاساته على الأمن القومي والمنتفعون منه، واليمين الديني المتطرف، وقطاع المال" ويضيف قائلا: "لقد رتبت الولايات المتحدة قوتها العسكرية منذ 11 سبتمبر 2001 حول الدفاع عن حقول النفط وأنابيبه وخطوط إمداده... فالنفط يشكل رهانا أساسيا للحرب الأمريكية على الإرهاب.. ولذلك فهو عنصر جوهري لفهم السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط وآسيا الوسطى" (زلوم، 2009، ص199).

الواقع، أن بعض المسؤولين في البنتاغون أكدوا صراحة بأن الحرب ضد الإرهاب كانت تستهدف السيطرة على منابع النفط ولذلك يقول نائب وزير الدفاع بول وولفوفتز "دعونا ننظر...فالفرق الأهم بين كوريا الشمالية والعراق يكمن في الناحية الاقتصادية... لم يكن أمامنا من خيار آخر في العراق، فتلك البلاد تطفو على بحر من النفط، باعتبارها تعد ثاني أكبر احتياطي نفطي في العالم (زلوم، 2009، ص188). وفي السياق ذاته، يعتقد "بريجينسكي" أن استمرارية الزعامة والتفرد الأمريكي يقتضي بالأساس احتواء الدول الصاعدة كالصين، روسيا...ولا يتأتى ذلك إلا من خلال السيطرة على "قوس الأزمات" أي "الشرق الأوسط وآسيا الوسطى." وعليه، فهذه المناطق ليست غاية في حد ذاتها وإنما هي أدوات لفرض استمرار السيطرة الأمريكية على العالم عبر توظيف ورقة النفط للضغط على القوى الدولية الساعية لمنافسة الولايات المتحدة على قيادة الاقتصاد العالمي، وبالتالي فهي تعد بحق مفاتيح رئيسية للسيطرة على التوازنات الجيوسياسية والجيواقتصادية الدولية (زلوم، 2009، ص369).

3.2.5 الحرب الأمريكية على الإرهاب واستكمال حلقات الانتشار العسكري على المستوى العالمي

لقد عملت الدوائر الإستراتيجية الأمريكية على توظيف قضايا مكافحة الإرهاب كغطاء لاستكمال حلقات الانتشار العسكري الأمريكي على المستوى العالمي، وإقامة قواعد عسكرية كنقاط ارتكاز في الكثير من المناطق التي تحظى بأهمية بالغة على الصعيد الجيوستراتيجي ومنها:

- **منطقة الشرق الأوسط والخليج العربي**: التي تعرف تواجد عسكري أمريكي مكثف وقد تم تعزيز هذا التواجد في إطار الحملة الأمريكية على الإرهاب، لحماية المصالح الامنية والجيوسياسية الأمريكية في المنطقة.
- **منطقة آسيا الوسطى**: حيث أقامت فيها الولايات المتحدة الأمريكية عدة قواعد عسكرية نظرا للأهمية الإستراتيجية لهذه المنطقة بالنسبة للحرب الدائرة في أفغانستان.
- **القارة الأفريقية**: حيث تمتلك فيها الولايات المتحدة عدة قواعد عسكرية، والملاحظ أن التواجد العسكري الأمريكي تعزز أكثر مع الحملة الأمريكية على الإرهاب وبخاصة مع إطلاق **"مبادرة الأفريكوم"** التي تمثل مشروع "الإستيطان العسكري" الأمريكي في إفريقيا(بيضون، 2004، ص241).

والملاحظ أن هذه القواعد العسكرية التي أقامتها الولايات المتحدة تحت مضلة الحرب على الإرهاب تحظى بأهمية وظيفية من الناحية الإستراتيجية كونها تسمح بأداء مهام بالغة الأهمية ومن ذلك، حماية المصالح الأمريكية وبخاصة الطاقوية منها، احتواء القوى المناهضة لأمريكا والتحكم في التوازنات الإقليمية، استخدم هذه القواعد أثناء القيام بالتدخلات العسكرية، ضف إلى ذلك أهمية هذه القواعد في إبراز الهيبة والعظمة العسكرية للولايات المتحدة الأمريكية.

4.2.5 دور الحرب الأمريكية على الإرهاب في تكريس الأحادية القطبية في النظام الدولي

بعد انهيار الاتحاد السوفياتي كدولة والشيوعية كعقيدة استبشر الأوروبيون بإمكانية قيام نظام دولي متعدد الأقطاب يضمن لهم هامش من المناورة على المسرح الدولي، بيد أن واقع الممارسة الدولية اتجه لتكريس الأحادية القطبية، خاصة في ظل انفراد الولايات المتحدة في أعقاب الحرب الباردة بمركز القوة العظمى الوحيدة التي لا تضاهيها أية دولة وبالخصوص على المستوى العسكري والإستراتيجي، ضف إلى ذلك هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على قيادة حلف شمال الأطلسي خاصة في ظل فشل الإتحاد الأوروبي في بناء هوية أمنية ودفاعية مستقلة عن الولايات المتحدة الأمريكية، الأمر الذي جعله عادة ما يوصف بأنه "عملاق اقتصادي ولكنه قزم سياسي".

ولقد أدت الحرب الأمريكية على الإرهاب إلى تعزيز فرص الولايات المتحدة في تكريس نظام الأحادية القطبية التي تعرف بأنها " بنيان دولي يتميز بسيطرة دولة كبرى على باقي وحدات المجتمع الدولي بشكل هرمي، وانفرادها بالتحكم في السياسة الدولية من دون قدرة الدول الكبرى الأخرى على منافستها على مركزها بحكم احتكارها لهيكل القوة الثلاثي الاقتصادي، التكنولوجي، والعسكري بشكل تتميز به عن غيرها من الدول"(جاد، 2010، ص23).

وتأسيسا على ذلك، يعتقد "جون إيكنبيري" (أستاذ الجغرافيا السياسية) أن الحرب الكونية على الإرهاب تمثل أحد ميكانيزمات الإستراتيجية الأمريكية الراهنة والمستقبلية الساعية لإعادة صياغة النظام الدولي وجعله يركن أكثر إلى أحادية قطبية ذات تفوق أمريكي شامل، وذلك بحكم إقدام الولايات المتحدة على إعادة رسم الخارطة الجيوسياسية العالمية بالشكل الذي يتماشى مع إرادتها ومصالحها العليا، فضلا عن قيامها بتغيير قواعد العلاقات الدولية من خلال عدم التقيد بالمعايير والأعراف السائدة في المجتمع الدولي.

ولذلك يعتقد "روجر أوين" مؤرخ الشرق الأوسط في جامعة هارفرد "أن الإستراتيجية الأمريكية في مجال مكافحة الإرهاب، أصبحت مدركة من طرف بقية العالم بشكل جيد، وبذلك سيكون على الشعوب وأنظمة الحكم أن تغير طريقتها في رؤية العالم من رؤية مبنية على الأمم المتحدة والقانون الدولي إلى أخرى قائمة على التماهي مع أجندة واشنطن"(العساف، 2008، ص372).

ومن هذا المنطلق يكون للولايات المتحدة الحق في لعب الدور الكوني (شرطي العالم) لوضع المعايير الدولية وتحديد ضروب التهديد، وطرق استخدام القوة، وأساليب إقامة العدل كما تراها. وعلى هذا تكون السيادة مطلقة بالنسبة لأمريكا، ومشروطة ومقيدة بالنسبة لباقي الدول التي تتحدى قواعد السلوك التي وضعتها الولايات المتحدة الأمريكية (السيد، 2004، ص ص14-15).

بيد أن الأحادي القطبية الذي رسختها الولايات المتحدة بذريعة مكافحة الإرهاب ستؤدي إلى إفراز مضاعفات خطيرة على الاستقرار الدولي، ذلك أن الهيمنة تستدعي المقاومة كما أن الغطرسة والسياسات الانفرادية ستجعل من النظام الدولي يشهد حالة من الاضطراب والفوضى، ذلك أن الإستراتيجية الأمريكية تهدد بتفتيت نسيج النظام الدولي، وتضرب تعددية الأطراف وتسعى إلى القضاء على الشراكات السياسية، في الوقت الذي يحتاج فيه هذا النظام إلى المزيد من التدعيم والترقية والتطوير(تشومسكي، 2005، ص39).

6. الخاتمة:

لقد حاولت هذه الدراسة بحث وتحليل مضامين الإستراتيجية الأمريكية لمكافحة الإرهاب، وما صاحبها من مشاريع ورهانات جيوسياسية كون الولايات المتحدة الأمريكية، حاولت أن توظف قضايا مكافحة الإرهاب كغطاء إستراتيجي لاستدامة الهيمنة على النظام الدولي، وقد خلصت هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

- إن طبيعة وخصائص الإرهاب كتهديد لا تماثلي هو الذي فرض على الولايات المتحدة الأمريكية انتهاج إستراتيجية الحرب الإستباقية لمكافحة الظاهرة الإرهابية، كما أن الطابع الانفرادي ومنطق القوة الذي ميز الإستراتيجية الأمريكية لمكافحة الإرهاب أدى إلى إفراز تداعيات خطيرة على الشرعية الدولية وعلى الأمن الدولي. وعليه فمكافحة الإرهاب الذي يعد ظاهرة عولمية تهدد المصالح الحيوية للمجتمع الدولي ككل، يقتضي بالأساس هندسة مقاربات تعاونية متعددة الأطراف تتماشى وقواعد الشرعية الدولية بعيدا الأحادية الأمريكية التي عادة ما تؤدي إلى تصعيد مصادر التوتر والفوضى في النظام الدولي.
- يحظى الإرهاب الدولي في الإستراتيجية الأمريكية **بأهمية وظيفية**، باعتباره يمنح للولايات المتحدة الأمريكية مجموعة من الفرص المرتبطة بممارسة مهام أو عمليات الضبط الاستراتيجي للبيئة الجيوسياسية العالمية. وبمعنى آخر، فإن قضايا مكافحة الإرهاب تشكل مدخلا رئيسيا توظفه قوى الهيمنة الدولية لإدارة جيوبوليتيكا النظام الدولي.
- إن التوظيف الأمريكي لشعار "الحرب على الإرهاب" يرتبط باستكمال حلقات الانتشار الجيواستراتيجي العالمي، وكذا التموقع في المناطق الجغرافية الحساسة لمنع ظهور أقطاب أو تحالفات قوى تكون قادرة على منافسة القوة العظمى الأمريكية علي قيادة النظام العالمي، علاوة على مراقبة أو تطويق بعض القوى المناهضة للولايات المتحدة الأمريكية.
- كما توصلت الدراسة إلى أن الولايات المتحدة توظف قضايا مكافحة الإرهاب كأداة لتعميم "مبدأ مونرو" على المستوى العالمي، لتوسيع مناطق التأثير والنفوذ الأمريكية ومنع المنافسين فيها. بالإضافة إلى استخدام ورقة الإرهاب الدولي كمدخل للسيطرة على مصادر الطاقة للتحكم في ميزان التنافس الجيواقتصادي الدولي، ومن ثم السيطرة على قيادة الاقتصاد العالمي.
- وفي الأخير، خلصت الدراسة إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية ربطت قضايا مكافحة الإرهاب برهاناتها وأهدافها الإستراتيجية الكبرى في النظام الدولي وبالخصوص التحكم في التوازنات الدولية، السيطرة على مصادر الطاقة، استكمال حلقات الانتشار العسكري على المستوى العالمي، الأمر الذي أدى إلى استدامة الهيمنة الأمريكية على النظام الدولي.

7. قائمة المراجع:

أولا: باللغة العربية:

1. الكتب:

- باربر بنجامين. (2005). *إمبراطورية الخوف: الحرب والإرهاب والديمقراطية*. ترجمة: عمر الأيوبي. بيروت: دار الكتاب العربي.
- برستوفتز كلايد. (2003). *الدولة المارقة الدفع الأحادي في السياسة الخارجية الأمريكية*. ترجمة: فاضل جتكر. بيروت: دار الوراق للنشر.
- البعلبكي منير. (1994). *المعجم الوسيط*. القاهرة: دار النهضة.
- الزين حسن محمد. (2013). *الربيع العربي: آخر عمليات الشرق الأوسط الكبير*. القاهرة: دار القلم.
- بوث كين، ديون تيم. (2005). *عوالم متصادمة الإرهاب ومستقبل النظام العالمي*. ترجمة: صلاح عبد الحق. أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية.
- بيضون أحمد. (2004). *العرب والعالم بعد 11 أيلول/سبتمبر*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

- تشومسكي نعوم. (2005). *الهيمنة أم البقاء: السعي الأمريكي إلى السيطرة على العالم*. بيروت: دار الكتاب العربي.
- تود إيمانويل. (2003). *ما بعد الإمبراطورية: دراسة في تفكك النظام الأمريكي*. ترجمة: محمد إسماعيل إسماعيل. بيروت: دار الساقي.
- جاد عماد. (2010). *حلف الأطلنطي: مهام جديدة في بيئة أمنية مغايرة*. القاهرة: مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية.
- الحاج علي. (2007). *سياسات دول الاتحاد الأوروبي في المنطقة العربية بعد الحرب الباردة*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- خليل مروة. (2020). *مفهوم الهيمنة في نظريات العلاقات الدولية*. جامعة الإسكندرية: قسم العلوم الاقتصادية والسياسية.
- الزعبي موسى. (2001). *دراسات في الفكر الإستراتيجي والسياسي*. دمشق: منشورات إتحاد الكتاب العرب.
- زلوم عبد الحي. (2009). *أزمة نظام: الرأسمالية والعولمة في مأزق*. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- سعادى محمد. (2009). *الإرهاب الدولي بين الغموض والتأويل*. الأزاريطة: دار الجامعة الجديدة.
- سعدي محمد. (2006). *مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة السلام*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- السلطان جمال مصطفى عبد الله. (2002). *الإستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط*. عمان: دار وائل.
- السيد ياسين.(2004). *الإمبراطورية الكونية: الصراع ضد الهيمنة الأمريكية*. القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
- شاهر إسماعيل شاهر.(2009). *أولويات السياسة الخارجية الأمريكية بعد أحداث 11 أيلول 2001*. دمشق: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب.
- العريمي مشهور بخيت. (2009). *الشرعية الدولية لمكافحة الإرهاب*. عمان: دار الثقافة.
- العساف سوسن. (2008). *إستراتيجية الردع: العقيدة العسكرية الأمريكية الجديدة والاستقرار الدولي*. بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
- غازي حسين. (2005). *الشرق الأوسط الكبير بين الصهيونية العالمية والإمبريالية الأمريكية*. دمشق: منشورات إتحاد الكتاب العرب.
- غليون برهان. (2005). *العرب وعالم ما بعد 11 سبتمبر*. دمشق: دار الفكر.
- فهمي عبد القادر محمد. (2006). *المدخل إلى دراسة الإستراتيجية*. عمان: دار مجدلاوي.
- هيكل محمد حسنين. (2003). *كلام في السياسة: من نيويورك إلى كابول*. القاهرة: المصرية للنشر.
- ولد أباه السيد.(2004). *عالم ما بعد 11 سبتمبر 2001: الإشكاليات الفكرية والإستراتيجية*. بيروت: الدار العربية للعلوم.
- يارغر هاري آر. (2011). *الإستراتيجية ومحترفو الأمن القومي: التفكير الإستراتيجي وصياغة الإستراتيجية في القرن الحادي والعشرين*. أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية.

2. المقالات:

- البرهان أحمد سليم (2003)، اللوبي الصهيوني والإستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط. *السياسة الدولية*. العدد 150.
- سويلم حسام. (2002). الضربات الوقائية في الإستراتيجية الأمنية الأمريكية. *السياسة الدولية*. العدد 150.
- كعسيس خليدة. (2014). الربيع العربي: بين الثورة والفوضى. *المستقبل العربي*. العدد 190.

ثانيا: باللغة الأجنبية:

- Barthélémy Courmont, Ribnikar Darko .(2009) . *Les Guerres Asymétriques*. Paris: Edition Dalloz.
- Bégarie Hervé Coutau. (2003). *Traité de Stratégie*. Paris : Economica.
- Hart Basil Liddell. (1966). *Strategy : The Indirect Approach*. London: Faber.
- Hoffman Bruce. (2006). *Inside Terrorism*. New York : Colombia University Press.
- Lacoste Yves. (2009). *Géopolitique, la longue histoire d'aujourd'hui*. Paris : Edition Larousse..
- Rambeaud Pascal-Pierre. (2011). *Le Moyen Orient une Région Sous Tensions*. Paris : Edition Ellipses.
- Steven Graeme, Gunaratna Rohan. (2004). *Counterterrorism: A Reference Handbook*. California: ABC-CLIO, Inc.